المبحث الخامس

مناسبة نسق الآية للآية

إنّ مناسبة نسق الآية لمّا قبلها وما بعدها من الآيات هي علل ترتيب أجزائها، أي: إنّه المعنى الذي يربط فيما بينها[1]، فقد يطوي معنى ومقصد الآية لمّا بعدها من الآيات، فيناسب مقصد الآية السياق السابق بالسياق اللاحق للآية الأخرى، فالمناسبة تبرز دلالة السياق النسقي الخاص مع دلالة السياق العام للسورة كلها بمجموع آياتها.

ففي قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾[2] وربما يسال سائل ما علاقة القسم بالنجم مع نفي الضلال والغوى عن النبي المصطفى ﷺ، وكذلك نفي نطق الهوى عنه. فلفظة ﴿هَوَىٰ﴾ تعني غرب وسقط، وقوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾، فالضلال نقيض الهدى، وهو العدول عن الطريق المستقيم، ويقابل الضلال الهدى، وهذا ما يرد في القرآن الكريم كثيراً، كقوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾[4]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ

---

(١) ينظر: نظم الدرر: ١/٥؛ والإتقان في علوم القرآن: ٣/٣٢٣؛ وعلم المناسبات في السور والآيات: ٢٧.

(٢) سورة النجم: ٢-٥.

(٣) سورة الإسراء: ١٥.

(٤) سورة الضحى: ٧.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾[1].

وضل السعي إذا حبط، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[2]، وضل الشيء خفي وغاب، وإذا سقط الدرهم عنك فقد ضلت، وإذا ضاعت الدابة فقد ضلّت[3]، كما في الدعاء (اللهم ردّ عليَّ ضالتي)[4].

وأمّا الغي فهو الضلال والخيبة والفساد[5] والاعتقاد والفساد[6] والغي نقيض الرشد، كما يقرن القرآن الكريم بينهما على إنَّهما نقيضان، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ﴾[7] فنفى عن الرسول ﷺ الضلال والغي، فقال: و﴿مَا ضَلَّ﴾ و﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ فهو مهتد رشيد، وكرر (ما) في النفي للدلالة على إنّه لم يحصل له واحد من هذين على سبيل الجمع أو الإفراد ولو جمع بينهما بـــ(ما) لاحتمل نفي الجمع بينهما، أي: لم يجتمعوا فيه، وإنّما حصل له واحد منهما[8].

واحتمل نفي الإفراد أيضاً، واحتمل نفي الأول وإثبات الثاني فمثلاً أن تقول (ما ضربه وشتمه) أي: لم يفعل الاثنين جميعاً، وإنّما فعل واحداً منهما

---

(١) سورة النجم: ٣٠.

(٢) سورة الكهف: ١٠٤.

(٣) ينظر: من أسرار البيان القرآني: ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧.

(٤) الدعوات الكبير: ١٨٧/٢.

(٥) لسان العرب: ١٤٠/١٥.

(٦) تفسير البيضاوي: ١٥٧/٥؛ الكشاف: ٩٤/٣؛ روح المعاني: ٤٥/٢٧.

(٧) سورة الأعراف: ١٤٦.

(٨) ينظر: من أسرار البيان القرآني: ٢١٧.

فتكون الواو استئنافية أو حالية، أمّا إذا قلت (ما ضربه وما شتمه) نفيت الأمرين على كلّ حال[1].

«وإنّ علاقة القسم بالجواب ظاهرة، فقد أقسم بالنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى، وهوى معناه سقط وعزب، والضلال والغواية سقوط، فناسب سقوط النجم سقوط الإنسان وهويّه»[2] وهذا من روائع التناسب النسقي في القرآن الكريم.

«وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾، نفي النطق بالفعل المضارع للدلالة على استمرار النطق ونفي النطق عن الهوى»[3]، وهنا إشارات بلاغية عظيمة، ودلالات على تلاحم القرآن بعضه ببعض، وترابط آياته يوضحه التناسب النسقي والترتيب للآية [4].

وإنّ اللفظة الثانية ﴿هَوَىٰ﴾ من الآية الأولى مرتبط بمقصد الآيتين اللاحقتين لها، فتناسب اللفظ والمعنى للآيات، فالكلام بارع المطلع، له روعة تستوي اللب أي: مغزى السورة، وتخفّ على السمع، فوقعت من القلب موقعاً حسناً، يقبل عليه السامع[5]، لأنّ لفظة ﴿هَوَىٰ﴾ فِي آية القسم ناسبت وناسقت لفظة هوى فِي الآية ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ وناسب ما قبله من الجواب، فالهوى الذي يستحل الإنسان يترك لأجله الحق إنّما هُوَ هويّ

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٢١٧.

(٢) من أسرار البيان القرآني: ٢١٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢١٨.

(٤) ينظر: البيان فِي الإعجاز والتناسب فِي القرآن الكريم: ٣١٠ .

(٥) ينظر: الإمام البقاعي ومناهجه فِي تأويل القرآن الكريم: ١/١٩٤.

وسقوط وَهُوَ ضلال وغي، فناسب ذَلِكَ ما قبله وارتبط به أحسن ارتباط فضلاً عن إنّه رتبت هذه الأمور وتناسقت من العام إلى الخاص، فقدم الضلال على الغي وقدم الغي على النطق؛ لأنّ الضلال عام فِي الإنسان وغيره من الحيوان والجماد، وَهُوَ عام فِي السلوك والقول والاعتقاد، فهو أعم من النطق، فإنّ الغي يكون سلوكاً اعتقاداً وعملاً ثم آخرها النطق وَهُوَ أخص[1].

إذن مناسبة الآية للآية يقصد منها الترابط والنسق بين الآيات مع بعضها، من حيث ترابط نسق مطلع الآية بما بعدها من الآيات، وتناسب نسق ألفاظها لمدلولها ومقصودها وغرضها، وَهَذَا من وجه التحدي فِي القرآن الكريم بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ووجه إعجازه[2].

(١) ينظر: من أسرار البيان القرآني: ٢٢.

(٢) ينظر: البيان فِي الإعجاز والتناسب فِي القرآن الكريم: ٣٠٦.